



في النصف الأول من القرن العشرين المنصرم احتل الفرنسيون سوريا، وفرضوا عليها انتدابهم ووصايتهم، وواجههم السوريون في معركة "ميسلون" غير المُتكافئة، التي استشهد قائد المُجاهدين السوريين "يوسف العظمة" فيها، ودخل الجنرال الفرنسي الإرهابي "غورو" مدينة دمشق، وخرّب ودمر فيها، وعاث فيها فساداً.

وأنشد أمير الشعراً أَحمد شوقي قصيدة رائعة، أُعلن فيها تعاطفه مع مأساة دمشق، ومشاعر السوريين، وقد قرأتنا وحفظنا رائعته الشعرية، التي كانت في مناهجنا الدراسية، لما كنا في المرحلة الابتدائية، في نهاية خمسينيات القرن الماضي، يوم كانت المناهج مناهج، والمدارس مدارس، وما زلت حتى الآن أحفظ الكثير من ما أخذناه في تلك المناهج، بعد مرور أكثر من نصف قرن عليها..

ومن ما قاله أَحمد شوقي في مطلع رائعته الشعرية:

سلام من صبا بردى أرق *** ودمع لا يُكَفَّفُ يا دمشق
ومعذرة اليراعة والقوافي *** جلال الرزء عن وصف يدف

إلى أن قال فيها:

سلٰي من راع غيرك بعد وَهُنِّ *** أَبین فؤاده والصخر فرق

ولعل أروع بيت في رائعة شوقي قوله:

وَلِلحرية الحمراء باب *** بكل يد مضرجة يُدقُّ

وفي هذه الأيام "الحمراء"، التي يُعاني فيها أهلنا وأحبابنا في سوريا وأساتذتهم مع النظام الطائفي الدموي الإرهابي، التي لم تمر بهم عبر تاريخهم الماضي كله عبر مئات وآلاف قرون، في هذه الأيام كنت أجد نفسي أردد أبياتاً من رائعة أَحمد شوقي

المُشار إليها، وبخاصة عندما أُشاهد عبر الفضائيات المُختلفة مشاهد الدماء تُسفك، والأطراف تُقطع، والجُثث تُسحب.

لقد فاقت مأساة أهلنا وأحبابنا في سوريا كل وصف وشعور وتقدير، وقد فقد أركان النظام الدموي وجنوه و"شبيحته" كل المعاني الإنسانية، بل فقدوا المعاني "الحيوانية" وإنما يتفوقوا على "نيرون" و"هولاكو" وبباقي الهمج من البشر "المفترسين" فقط، وإنما تفوقوا على حيوانات الغابة المفترسة! إن "الأسد" -الحيوان في الغابة- لا يفعل مع فرائسه ما يفعله "الأسد" الذي يظهر على الناس بجسم وملابس إنسان! لقد تفوق "الأسد" الإنسان في دمويته على الأسد الحيوان!! ويقول لنا: لا يطلق النار على شعبه إلا مجنون!!

نقول للمدينة الحبيبة دمشق، وسائر مدن سوريا الحبيبة؛ كدروعا وحمص، ما قال أحمد شوقي: سلي أيتها المدن السورية المنكوبة بالحيوانات البشرية - ومعدنة للحيوانات المفترسة في الغابة من هذا التشبيه -: سلي من يذبحون كل يوم العشرات من أبنائك وبناتك وعجائزك من رجالك ونسائك: أبين قلوبهم والصخر فرق؟

قلوب جُنود النظام الدموي وشبيحته ليست بقوة الصخر، ولا بصلادة الحجارة، بل هي أشد قسوة وصلادة من الصخر والحجارة، وينطبق عليهم قول الله لنبي إسرائيل مُنكراً عليهم قسوة قلوبهم، قال - تعالى - : {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك في كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهر، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله...} [البقرة: 74].

أما أهلنا وأحبابنا في سوريا الحبيبة فهم الرجال الرجال، والشجعان الأبطال، الذين عرّفوا طريقهم، وساروا فيه بخطى ثابتة، وكسروا حاجز الخوف والجُبن والصمت، وأعلنوها عالية مدوية، وكلما ازداد المفترسون الدمويون افتراساً من أبنائهم ازداد الرجال التائرون ثورة وشجاعة، وإنّماً وتحدياً، إنّهم الآن يطرّقون ويدقون بباب الحرية بأيديهم المضروبة بدمائهم، وسنفتح باب الحرية قريباً - بإذن الله -. كما فتح ذلك لإخوانهم التونسيين والمصريين والليبيين، ولقد قالها لهم أحمد شوقي قبل أكثر من ثمانين سنة:

وللحرية الحمراء بابُ **** بكل يد مضرجة تدقُّ

أما نحن المراقبون والمُتابعون، والمتألمون والثكالي والمحزونون؛ فإن دماء قلوبنا تنزف حزناً وألمًا على مُصابكم يا أهلنا في سوريا، وكلما افترس الحيوانات أناساً أعزّة منكم كلما زاد نزيف قلوبنا، ورُشت الأملالح الحارقة على جروح قلوبنا المُتفرجة، وما آلم الجراح ترش عليها الأملالح!!

نُخاطبكم يا أهلنا في سوريا "المخطوفة" بما خاطب به أحمد شوقي أجدادكم قبل أكثر من ثمانين عاماً، لأن التاريخ الدموي يُعيد نفسه، في صورة أكثر دموية.

ونقول لكم:

سلام من صبا بردى أرق **** ودمع لا يكفكف يا دمشق

المصدر: شبكة الشام الإخبارية

المصادر: